مسجد "آل أبي جمهور" بقرية التيمية موضع الخلاف

بقلم القاصر/ أحمد بن محمد البراهيم الأحسائي

حرر في ١٤٤١/١٢/٠٩هـ

تمهيد:

في هذه الأيام المباركة دار خلاف بين بعض الأخوة الأعزاء حول نسبة المسجد الكائن في قرية التيمية (التهيمية) المحروسة وهو بالقرب من أحد سفوح جبل (هجريا) – الشبعان – القارة -، وبالقرب منه مقبرة تقع في الجهة الغربية (القبلة) بالنسبة للمسجد.

فبعد بث تقرير مرئي قصير من قبل الأخ الفاضل عبدالعزيز الموسى وهو من باب تسليط الأضواء على بعض المعالم الدينية والتراثية في الأحساء فجزاه الله تعالى خير الجزاء. وفي هذا التقرير وبالاعتماد على بعض من أهالي القرية (التيمية) نسبه - تبعاً لهم - إلى الشيخ الأجل والمقدس الشهير الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي "طاب ثراه". وهو معذور حين وقوعه في هذا الاشتباه؛ ولأنه لا يملك أدوات التحقيق التاريخي؛ ولأنه سمع من أهالي القرية، والذين هم أيضاً بدورهم معذورون لأنهم أيضاً وقعوا في اشتباه ناتج عن تقصير وليس عن قصور وذلك لما سنعرفه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وفي مقابل الأخ عبدالعزيز الموسى وقف مجموعة من الشباب الذين لهم اهتمامات بالتراث والمعالم التاريخية وبتاريخ الأحساء بشكل عام، إلا أنهم وكما وصلتني بعض الردود والمناقشات لم يملكوا الجواب الواضح المدلل تاريخياً

ووثائقياً. وعلى كل حال أشكر لهم غيرتهم على الحقائق التاريخية وأشكر للأخ عبدالعزيز الموسى حبه لوطنه ومساهمته في التعريف بآثاره.

وأنا وحين طلب مني الأخ العزيز رسمي بن عبدالله المؤمن، ومن باب حسن ظنه بالفقير أحببت أن لا أرده خالي الوفاض مع ما أنا عليه من اشتغال ببعض الدروس والتحقيقات مع كبر السن ومكافحة بعض الأمراض.

فأقول بعد التوكل على الله تعالى وهو المعين. في نظري ان هناك اشتباه قد وقع في الذاكرة الاجتماعية، ونتيجة لهذا الاشتباه وقع بعض الأخوة من الموثقين الميدانيين في الخلط.

أول الكلام:

لا يصح الاعتماد دائماً على الذاكرة الاجتماعية خصوصاً ما يخص التاريخ - المسموع - الذي ربما جاء شخص فيما بعد ودونه على علّاته من دون تدقيق أو فحص علمي عملي، كما حصل لبعض الأخوة الذين كتبوا حول بعض آثار أهل البيت "عليهم السلام" في الأحساء أو أصحاب الكهف أو بعض أقوام بعض الأنبياء "عليهم السلام" أو غيرها.

ثانياً:

كثيراً ما تلعب الأسطرة (التحول إلى أسطورة) لعبتها في الذاكرة الاجتماعية المنقولة عبر السماع وهناك الكثير من الجزيئات المنقولة من خلال الذاكرة الاجتماعية والتي ليس لها أي أساس واقعي. الأمر الذي يجعل المؤرخ الدقيق متردداً في نقلها او اعتبارها جزئية تاريخية لها واقع حقيقي، وليس هذا فحسب بل إن بعض المنقولات السماعية لو نقلها الباحث أو المؤرخ سوف يجعل من نفسه أضحوكة القراء، وهذا ما حدث بالفعل للبعض.

ثالثاً:

بعض المسميات لبعض الأماكن ليس للذاكرة الاجتماعية أي دور في تغييرها، بل هو نتيجة للتغيير الديموغرافي في المنطقة، ولكن والحق يقال أن التغيير الديموغرافي وإن كان له دور إلا أن هذا التغيير لا يكون بين عشية وضحاها بل هو عمر ثاني، وهذا يتطلب سنوات كثيرة، ومن الأمثلة الحية:

١/جبل القارة:

في زمان النبي موسى بن عمران "عليه السلام" وربما قبله بسنوات كثيرة كان يسمى (جبل هجريا) وقد ورد ذلك في بعض الشروح اللاهوتية للعهد القديم عند الحديث عن سنوات الشتات الأربعين التي ضربت على بني إسرائيل. وبعد ذلك العصر أطلق عليه (جبل الشبعان) بسبب الأنهار المارة بجانبه والمزارع المحيطة به. وبعد قيام (القارة) بجانبه أطلق اسمها عليه وذلك من الدلالة عليها لا لخصوصية فيها. وهو الآن من أشهر معالم الأحساء والتي كان اسمها في العصور السابقة (هجر)، والتي كان اسمها أيضاً في عصور قبل هذه (ديار بني عبد القيس) وقبلها (البحرين) وقبلها (الساحل الشرقي)، وقيل: إن من أسمائها القديمة جداً (الجنة الخضراء) و(أرض المياه الجارية) و(ساحل اللؤلؤ).

٢/مسجد جو اثا:

من المعروف عند جميع المؤرخين على الاطلاق أن الباني لهذا المسجد هم بنو عبد القيس، ولا خلاف أيضاً بينهم بأن ثاني جمعة أقيمت في الإسلام بعد مسجد رسول الله "صلى الله عليه وآله" كانت في هذا المسجد. ومن ذكر هذه الواقعة أي إقامة ثاني جمعة في الإسلام يقول: أقيمت في مسجد بني عبد القيس في هجر ولا يذكرون جواثا. وبعد سنوات تغير الاسم إلى مسجد جواثا، واعتقد

أن هذا التغيير جاء نتيجة عوامل سياسية بعدما أطلق عليه (الردة وحروبها) فكان الهدف هو تغييب اسم (بني عبدالقيس) الرافضين للتغيير على ما بايعوا النبي "صلى الله عليه وآله" عندما قدموا إلى المدينة المنورة.

وكان شاعرهم العبدي وأظنه صعصعة بن صوحان العبدي يفتخر بهذا المسجد العظيم وأنه مفخرة يفخر بها على سائر المسلمين بقوله:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب

مع أني لم أرَ من يسميه المسجد (الشرقي).

٣/مسجد جويخ:

ولعله الأثر الوحيد الباقي بعد إزالة قرية أم مازن على يد الحكام العثمانيين. بقي هذا المسجد يحمل اسم مؤسسه أو على الأقل إمام الجماعة فيه (الشيخ جويخ) الذي يسميه البعض بـ (جويد). وبعد إعادة تعميره بعد الحريق الذي نشب فيه جاءت محاوله تغيير تسميته إلى مسجد (الإمام المهدي "عليه السلام") وأنا كتبت حوله في مجلة الواحة. وقد تحدثت مع العلامة المرحوم السيد محمد علي بن السيد هاشم العلي وأتذكر أني قلت له: لماذا تصر على تسميته بمسجد الإمام المهدي "عليه السلام" وهو الذي لديه في قلب كل مؤمن مسجد؟، والشيخ جويخ مسكين لا ذكر له إلا بهذا المسجد إذ لا ولد له ولا كتاب يبقى ذكره، مضافاً إلى أنه ربما يكون الشيخ جويخ هو المؤسس والواقف الشرعي لهذا المسجد، ولهذا لا يجوز التصرف في الموقوف على خلاف مراد الواقف، وهذا حكم شرعي لا يجوز لأحد تغييره.

٤/ نهر سليسل:

وهو أحد نهرين عظيمين في الأحساء، وتاريخ وجوده لم يعرف على وجه التحديد إلا أنه كان أحد روافد الاستيطان المبكر في هذه المنطقة. وتاريخ الاستيطان في هذه المنطقة كان قديماً جداً، وكثير ممن أرخ للاستيطان في المنطقة يرجع إلى ما قبل أكثر من اثني عشر الف سنة، بل أن مصادر تاريخ حضارات قديمة مثل الكنعانيين والآشوريين ترجع بتاريخهم إلى الهجرة من هذه المنطقة بعد بداية انحسار الغابات المطيرة فيها. نهر سليسل وإن كان في عهد قريب مصدر مياهه هما عينا (الخدود) و(الحقل) وبعض الأنهار الرافدة له. ولكن ربما كان في عصور متقدمة مصادر مياهه غير هاتين العينين، أو كانت هناك روافد أكبر منهما، أو عيون، أو أنهار أخرى. وثائق كثيرة تذكره باسم (نهر السليسل) مع التأكيد أنه غني عن التعريف. في السنوات المتأخرة تحول اسمه إلى (نهر الخدود)، بل إن (النهر) نفسه تغير ليتحول إلى (ري)، و(الخدود) العين المعروفة بغزارة مياهها، وغيبت عين (الحقل) التي كانت في الأزمنة المتقدمة أكثر حظاً في الشهرة من عين الخدود وذلك بعد مشروع (الري والصرف).

٥/قرية التهيمية:

ولو قلت لأحد شباب الأحساء اليوم ماذا تعرف عن قرية (التيمية) فلربما تأخذه الدهشة من هذا الاسم، حيث أنها لا تعرف اليوم – خصوصاً عند جيل الشباب وعلى الاخص من ليس له أي اهتمام بالتاريخ - إلا بـ (التهيمية). مع أنها كانت في السابق تحمل اسم التيمية. يقول الشيخ محمد بن أبي جمهور في آخر حاشيته على كتاب (مسالك الأفهام في علم الكلام) المسماة بـ (النور المنجي من الظلام) أنه أنهى هذه الحاشية في (التيمية). والشيخ فرج العمران " رحمه الله" من المعاصرين يقول في الأزهار الأرجية:

قدسوها مدينة التيمية فهي من خيرة القرى الهجرية

وهي وإن كانت اليوم لا تعرف عند المجتمع أو الجهات الرسمية إلا باسم (التهيمية)، إلا أن المؤرخ تفرض عليه ذكرها بالاسم الأول (التيمية) على الأقل ولو من التتبع التاريخي.

خلاصة الكلام:

الخلاصة تكون في نقاط:

النقطة الأولى:

في القرون الماضية كان المسلمون - وعلى وجه الخصوص العلماء والبيوتات العلمية - يعتنون بإضفاء الألقاب على أولادهم وكان أغلب العلماء المعروفين والمشهورين تضاف إلى أسمائهم ألقابا في أغلبها تكون مرتبطة بالدين، فمثلاً يذكر الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي "طاب ثراه" جملة من أساتذته والمجيزين له بالرواية في مقدمة كتابه الحديثي الموسوم (عوالي اللئالي) أو (غوالي اللآلي) وهم من الأحساء وهذا يمهد لما نحن بصدده ومنهم:

١/حسام الدين: وهو جده الشيخ إبراهيم بن أبي جمهور.

٢/ ناصر الدين: وهو الشيخ ابن نزار.

٣/جمال الدين: وهو الشيخ حسن المطوع الجرواني الأحسائي.

٤/ شهاب الدين: وهو الشيخ أحمد بن فهد من إدريس المقري الأحسائي.

٥/فخر الدين: وهو الشيخ أحمد السبعي الأحسائي.

النقطة الثانية:

الشيخ محمد بن أبي جمهور كان يلقب بـ(شمس الدين)، ووالده الشيخ علي بن أبي جمهور كان يلقب بـ(زين الدين).

النقطة الثالثة:

المسجد - موضع الخلاف - تأسس في عام ٨١٠هـ أو على أقل التقادير أن الانتهاء من بنائه كان في هذا العام. وتوجد لوحة حجرية موضوعة فوق محراب المسجد منقوش عليها هذا النص: (لا إله إلا الله محمد رسول الله. هذا المحراب، الجمعة شهر شوال سنة ثمانمائة وعشرة، عمل عبد الله بن قاسم بن محمد الهمي العماني).

النقطة الرابعة:

هذا التاريخ الذي تم الانتهاء من بناء المسجد فيه عام ٨١٠هـ متقدم على تاريخ مولد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي بما يقارب ٣٥٦ سنة، وقبل مولد الشيخ محمد بن أبي جمهور بما يقرب ٢٩ سنة. إذن المسجد المعني ليس مسجداً للشيخ محمد بن أبي جمهور ولا مسجداً للشيخ أحمد بن زين الدين.

النقطة الخامسة:

شباب هذه الأيام لا يلامون على الشبهة التي وقعوا فيها وحتى بعض الشيبة حيث أن ثقافتهم التاريخية أو معلوماتهم قد أصابها بعض التشويش؛ وذلك بسبب شهرة وذيوع صيت الأجل الشيخ أحمد بن زين الدين قد علقت في أذهانهم. فإن نسبة المسجد إلى الشيخ أحمد ناتج عن أمرين:

الأمر الأول: - وكما قلنا – الشهرة، والأمر الثاني: هو عدم معرفتهم للمؤسس الفعلي للمسجد.

النقطة السادسة:

المسجد تأسس في عام ٨١٠هـ والمؤسس له هو: زين الدين الشيخ علي بن حسام الدين الشيخ إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي. والشيخ زين الدين والد الشيخ محمد الشهير، وما علق في أذهان الناس، أو كما يقال في الذاكرة الاجتماعية هو (الشيخ زين الدين) ونتيجة للبعد الزمني والابتعاد التاريخي والمعرفي، ولشهرة الشيخ أحمد بن زين الدين تم الوصل بين الاسم والمسجد.

النتيجة:

والحديث كما يقال ذو شجون خصوصاً مع ما مرت به المنطقة من تغييب تاريخ فمثل هذا الاشتباه وارد وممكن الوقوع والمهم هو التأني في إطلاق الأحكام ويجب أن نعي وندرك بأن التاريخ أمانة.